الغلو في الفكر الديني

م.د. ماجد حميد كصاب
وزارة التربية / المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار

الملخص:

تنوعت الدراسات الفكرية تبعا لتنوع الرؤى الفكرية التي تتبدل وتتغير بما يطرأ على الساحة الإسلامية من مستجدات في مجال فهم النصوص الدينية والإنسانية ودراستها وحتى توظيفها، وهذا التعدد متأتٍّ من النصوص نفسها تبعا لتعدد معالجاتها أوجه الانحراف عن خط الإنسانية ، آخذًة بالإنسان، واضعةً قدمه على الجادة السوية والخط المستقيم لينطلق بعدها في سعيه. وإن الأزمات التي تعصف بالمجتمعات، وتشتت قوتها أو تذهب بريحها كما يعبر القرآن، ترجع الأسباب في أغلبها إلى التأزم والتصدع الفكري بين أبناء المجتمع، مما يؤدي إلى الصراع بينهم، ومحتملات هذا الصراع كثيرة منها الظن السيئ والاتهام، وذلك هيّن ولكنّ اشدّه عندما يصل إلى التصفية الجسدية والقتل بحجة الحفاظ أو الدفاع عن المقدس، فيمرُّ الفرد أو المجتمع بانفعال نفسي حادّ يتجسّد هذا الانفعال الى سلوك سلبي؛ نتيجة تراكمات نفسية متأثرة بفكرة معينة أو شخص بعينه أو مكان مقدس، وربما بمذهب ديني أو اجتماعي أو سياسي، وهذا السلوك والانفعال النفسي الحاد يتجه صعودا أو نزولا بدافع الحب أو الولاء المفرط أو البغض المفرط، ومن المؤكد أن ينسج أصحابه مسوغات لإيجاده حتى يصبح معقولا أو مستساغا عند من يتبعه، وأحد هذه السلوكيات هو الغلو الديني، فمررت على تعريفه ونشأته، وذلك في المبحث الأول ، ثم تعرضت لوجوده في الديانات القديمة واخترت أنموذجين وذلك في المبحث الثاني، تلا ذلك موقف القرآن الكريم من الغلو مبحثا ثالثا، والسنة المطهرة مبحثا رابعا، جاء هذا البحث جرّاء ما يعصف بالفكر الديني من تشدد وتطرف، ولاسيما أن الساحة العربية والعراقية بالخصوص تعاني من آثاره المدمرة .

الكلمات المفتاحية: الغلو، الفكر الاسلامي.

Exaggeration in Religious Thought

Dr. Majid Hameed Ksaab
Ministry of Education - General Education Directorate – In Dhi Qar governorate.

Abstract:

The present study examines the idea of religious extremism which means a mental and intellectual disease that affects societies and causes them to be torn apart. It is based on their division with one another and against the other, and then the conflict with the oppressor takes place and uses the worst means, including religious liquidation and physical killing. This reality lives in societies which has great influence in religious and social bungles, in turns, it closes their eyes to what is happening in the world of development and progress, which aims to ensure the mankind's happiness, security and safety. On the contrary, extremist religious societies often live a sort of religious and intellectual closure since they cannot see the experiences of others. In other words, they live on hatred of the other and attempt to eliminate those who disagree with them.The deviant and recessive understanding, the abuse of some religious texts in order to attack others, the other trend believes in intellectual and religious pluralism. This trend believes that life is based on diversity. They based their worldview on many religious texts from the verses of the Holy Quran and the sayings of the prophet, which highly consider prioritize human rights, including man's the safety and security, to his/her understanding of religious texts. Furthermore, those religious texts are against all the problems that threaten his/her existence and safety, including religious extremism.

Keywords: Exaggeration, Religious Thought.

المبحث الأول/ تعريف الغلو وبيان نشأته:

الغلو لغة : تكاد تتفق المعاجم العربية على معناه انه التجاوز في الحد وقد يكون في كل شيء كما السعر اذا تجاوز الحد فنقول ثمن الحاجة غالٍ ، ولعل اكثر ما يلفت النظر في معنى الغلو هو الغلو الديني ، فقيل : غلا الناس في الأمر ، أي : جاوزوا حده ، كغلو اليهود في دينها . ويقال : أغليت الشيء في الشراء ، وغاليت به [١] ، وأيضا : غلا في الأمر غلوا ، تشدد وتصلّب حتى جاوز الحد [٢] ، وقال ابن منظور : غلا في الدين والأمر يغلو غلوا ، جاوز حده ، والغلو في الدين ، اي التشدد فيه ومجاوزة الحد [٣] .

الغلو اصطلاحا : المعنى الاصطلاحي للغلو يدور في فلك المعنى اللغوي ، وهو مجاوزة الحد كما في اعتقاد الإنسان بأن يتجاوز الحد في أمر معين فيغالي به ، وكذلك رامي السهام يغلو برميته ليتجاوز اقصى حد له ، وقسم الزمخشري الغلو على قسمين: غلو حق وآخر باطل فقال : الغلو في الدين غلوان : غلو حق وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه، وغلو باطل وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشبه[٤].

ولا أميل إلى تسمية الفحص عن حقائق الأشياء والاجتهاد في تحصيل المعاني غلوا ؛ فما دام معناه مجاوزة الحد يكون في دائرة الذم ولا حقّ فيه .

وكثير من المفسرين عند مرورهم على كلمة الغلو أضافوا إلى معنى تجاوز الحد ، الاستنكاف والامتناع ، منهم قول الشيخ محمد جواد مغنية : الغلو مجاوزة الحد والاستنكاف والامتناع عن الشيء أنفةً وكِبراً [٥] . وذكر ابن عاشور في تعريف الغلو بقوله : الزيادة على المطلوب من المعقول أو المشروع في المعتقدات والإدراكات والأفعال ، والغلوّ في الدين :" أن يُظهر المتديّن ما يفوت الحدّ الذي حدّد له الدِّين" [٦] .

نشأة الغلو:

تعددت أنماط الغلو بتعدد الديانات وأخذت أشكالا مختلفة ، لكن يكاد يكون الجذر واحد ، وهو الانبهار والغرابة بشيء خارق يحدث على يدي فرد من الأفراد ، فتنسج المخيلة البشرية حوله الخيالات والقصص والأساطير لتصنع منه بطلا ، ومن ثم يندمج معه في هذه البطولة أشخاص قريبون منه ، كأن تكون أسرته ، وفي الأغلب ابن البطل وزوجه ليشكلون ايقونة أو رمزا ثلاثيا للعبادة ، وهذا ما عُرف في التاريخ القديم بعبادة الأبطال [٧] ، أو الميل البشري للتثليث ، وذلك معروف في العبادات القديمة الهندية والإغريقية والرومانية ، بحيث يندمج مع البطل معاونون له في تمشية أمور الناس أو المخلوقين .

إنّ الذهن البشريّ عند تفاعله وتأثره الحاد بمظهر معين يفوق ما لدى أبناء المجتمع من حيث التفكير والإبداع والابتكار هو واحد عند الجنس البشري من حيث مغالاته وتجاوزه الحد المعقول ، ومن ثم صياغة الخيال الماورائي أو الأسطوري كحلٍّ أو معالجة للأمر الخارق الذي جاء به ذلك الشخص المعين ، وان كان هناك تفاوت بين المجتمعات أو الشعوب لكن يبقى الغلو موجودا ، وهذا ما ينبيء عن عجز المجتمع عن الإتيان بمثله ، كحال الكثير اليوم عندما يتندرون على الشخص الناجح ، فيرجعون نجاحه إلى الحظ أو الصدفة أو اختلاق مصادر أخرى ، وهذا في الحقيقة تعبير للعجز عن الوصول إلى ما وصل اليه الناجح .

لقد شهدت الساحة البشرية ولا سيما على المستوى الديني بروز أسماء كثيرة حيطت بالقداسة والتبجيل حتى وصلت في كثير من الأحيان إلى العبادة ، على الرغم من أنّ تلك الأسماء كان اهتمامها الإنسان نفسه ، وليس عقيدته أو دينه وعبادته ، كما حدث مع بوذا وكونفوشيوس ، حيث كانا بأبسط عبارة مصلحين اجتماعيين حال الكثير من رواد الإصلاح الاجتماعي ، بيد أنَّ شعوبهم بعد مضي العهد بهما قدست هاتين الشخصيتين حد العبادة ، مغالية بما جاء على يديهما من نصح وإرشاد .

وهذا ما يدفعنا الى التساؤل لماذا هذا التقديس ؟ ولا سيما في الوجهة الدينية دون غيرها ؟ .

في مقام الإجابة عن هذا التساؤل يمكن القول: إن الدين والى وقت غير بعيد يعني الإيمان المطلق بالخوارق والعالم غير المرئي ، وبالوقت نفسه عدم قدرة الإنسان على اكتشاف مجهولاته والخوض فيها ، أي يؤخذ الأمر (تعبديا) وهذا ما يجعل الإنسان ينصاع ويسكت ويستسلم لأحكامه ؛ لأنها صادرة من جهة ارفع منه ، ولا يملك خيارًا أمام قواها .

إذًا واحد من مناشئ الغلو هو البعد عن الإدراك الواقعي أو ربما حتى الخوف منه ، كمن يسأل عن نسب الشخص الفلاني ليجاب أنَّ نسبه معروف ، اتقِ الله وإلا وقعت عليك صاعقة تشطرك نصفين ، ربما اليوم يُقابل هذا الكلام بالاستهجان أو السخرية ، ولكن في السابق يقابل بالخوف ومن ثم التسليم المطلق ، وبعضه موجود حتى الساعة ، وهذا التسليم أمر راجع إلى الدين وعندها يتخلص الإنسان من تزاحم الشكوك والأسئلة في ذهنه ؛ لأنه القى بظلال شكوكه إلى جهة ارفع منها كما عبرنا ، واحيانا يبتغي أجرًا على هذا السكوت !!.

أما من يكتب في أسباب نشوء الغلو ولا سيما في المجتمعات الإسلامية فهو يعزوه إلى تآمر خارجي من اليهود والنصارى ؛ بغية ضرب الدين وتشويهه هذا من جهة ، ومن جهة أخرى

يرجعون نشوء الغلو الى السلطات السياسية التي تعتاش وتحكم العباد عن طريق تفرقهم ، وعن طريق خلق صراعات وهمية تارة وأخرى واقعيه أساسها الاعتداء على الآخرين .

بلا شك أنَّ آثار ذينك العاملين لا يمكن التغافل عنها ولا الاستهانة بخطرهما ، ولا سيما من التجارب التي عاشها المسلمون وهم يعانون آثار هذين العاملين ، ولكن بجنب ذلك يجدر الالتفات إلى بعض النصوص التي تؤزم علائق الناس ، وتغري بتكفيرهم، ومن ثم تقاتلهم لتستغل من العاملين الذين أُشير اليهما أعلاه، فاصبح لزاما مراجعتها تفسيرا وتأويلا ، سندا ومتنا ودلالة ، وكذلك الأخذ بالحسبان الطبيعة العربية المتوثبة التي تثور أحيانا لأسباب لا تستحق غلوا أو مغالاة، كقول عمر بن كلثوم مفتخرا :

ألا لا يجهلنّ احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فنجد مثلا قول بعضهم : لا بد أن تواجه دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأقوى عدة واكثر عدد من المعارضين الذين قضى الإسلام على عقائدهم الفاسدة ، ومجدهم الغابر، وهدم هياكل وبيوت عبادتهم ، فلم يخضع لهذه الدعوة جبابرة قريش الذين ملكت الأنانية قلوبهم ، ولا الأباطرة من ملوك النصارى أو اليهود [٨] .

من غير المنطقي اللجوء إلى العامل الخارجي أو نظرية المؤامرة عند تشخيص بعض الأمراض والمشكلات التي تعتري جسد الأمة الإسلامية وتفكيرها، وبالوقت نفسه إهمال النصوص والعقول التي لغمتها وحولتها إلى ذخيرة فتاكة، تعبث بحرية الإنسان ودينه وكرامته ، وتثيره مزبدا تجاه أخيه الإنسان.

ومن المفيد ان أشير هنا الى بعض النقاط التي كتبها الشيخ الوائلي بوصفها عواملَ لنشوء الغلو:

١ – ان يغالي الإنسان بشخص أو بفكرة ليتخذ من ذلك مبررا لاختياره الانتماء لهذه الفكرة أو الشخص فكأنه يريد مرجحًا ومسوغًا نفسيًا أمام الناس يفسر غلوه .

٢ – قد يكون الغلو ردّ فعل ، فإنَّ البعض قد يُضطهد من أجل معتقداته، وقد يُنتقص منه أو يُهزأ به ، فيدفعه ذلك إلى المغالاة .

٣ – الابتلاء ببعض الشبه نتيجة الفهم الخاطئ أو تعميم غير مسوغ علميًا ، كمن يتهم طائفة عن طريق شخص أو أشخاص مسيئين [٩] .

المبحث الثاني/ الغلو في الديانات القديمة:

أمر الآن بملامح بسيطة من الغلو الديني الذي قوبل به بعض الأشخاص في الأديان القديمة مراعيا الترتيب الزمني ، واختياري لشخصيتين مهمتين في الفكر الديني لازالا لليوم لهم اتباع وشيعة، وهما بوذا وكونفوشيوس. أما لماذا تعرضت لهاتين الشخصيتين دون سواهما ، علمًا أنَّ في الحضارة السومرية والآشورية (حضارة وادي الرافدين) وفراعنة مصر (حضارة وادي النيل) كثيرًا من نماذج عبادة الأشخاص، وكانت سابقة تاريخيا للشخصيتين المذكورتين، وكذلك زخرت الكتب المهتمة بتاريخ الأعراق القديمة والأساطير الدينية (الميثولوجيا) بطقوس وشعائر تلك الأمم، من حيث التقديس والعبادة ، ونسج القصص والأساطير الخيالية حول الولادة والنزول إلى الأرض ؟

السبب في ذلك يرجع إلى أنَّ هذه الطقوس المقدسة ، واذا جاز القول العبادة الدينية، لم يبقَ لها اثر بعد نزول الديانات السماوية على هذه الأرض ، أو بالأحرى غلبت الطقوس المرتبطة بالدين السماوي على الطقوس المرتبطة بالدين الأرضي ، حتى وان تناول كثير من الباحثين حجم التأثير على الدين السماوي من الديانات التي سبقته والمستندة الى أشخاص لم يعلنوا ان جهة ارتباطهم ومصدر شريعتهم هي السماء ، لكن يبقى الأثر الأكبر للأديان الثلاث ، اليهودية المسيحية الإسلام هو الغالب وهو مصدر طقوسيتهم .

أما في الهند وكوريا واليابان والصين؛ فلا زال اتباع بوذا وكونفوشيوس موجودين بطقوسهم وشعائرهم وهذا سبب ذكرهم دون غيرهم .

١ – بوذا : شخصية هندية ينتمي لأسرة مترفة ، يرجع الى طبقة الكاشتريا أو الكشتيريا ، وهي طبقة الحكام والأمراء في المجتمع الهندي القديم حسب التصنيف الهندوسي ، ومثل هكذا شخصية حسْبُهُ فيها معيشته في ظل أسرة ، حيث تمتعه بالزعامة وبحبوحة العيش ، والانشغال بهمومه بعيدا عن هموم الآخرين ، لكن هذا الشخص كان استثنائيًا حاله حال كثير من الفلتات ، فقد عاش هموم المجتمع وآلامه ، باحثا عن إيجاد حل لتلك الآلام ، حتى اصبح ذلك الهمُّ مدار فلسفته الدينية .

وقد نُسِجت كثير من المعاجز حول ولادته ؛ لتجعل منه شخصا ذا أهمية وبال وقريبا من الأسطورة مبالغة في إضفاء القداسة وكلما كثرت الخوارق والمعاجز ازداد قداسة ، فمثلا قيل : انه ولد وقد تلقته أيدي البراهمة * وانه قام لتوه ونطق ، أما حين وضعته أمه ؛ أرادت النهوض فمدت يدها إلى غصن شجرة فانحنى من تلقاء نفسه حتى قارب كفها ، ولم تكد تنهض حتى كان تحتها طفل تلقته أيدي البراهمة في شبكة نسجت خيوطها من أسلاك الذهب ، وقف المولود وتقدم في سبعة خطوات الى الأمام ، ثم صاح في صوت عذب: انا سيد هذا العالم [١٠] .

تشعر هذه الكلمات بأهمية الشخص المولود وتشير الى مقاماته ، ومن ثم تجعل منه شخصا خالدا يتيح لاتباعه التمسك به وحضوره في واقعهم أو مخيلتهم ، لتقاس منزلة احدهم بمستوى منزلة اندماجه وذوبانه في بوذا ، كما يسمون هذا الاندماج بـ (النرفانا) وهو التخلص من التعلق بالدنيا وحصول الفرد على حالة الصفاء الروحاني ، وبالوقت ذاته يُعد ذلك غلوا من اتباع بوذا حيث الصياغة الأسطورية لولادته وحياته حتى مماته .

هذه النشأة المترفة لبوذا لم تحجبه عن التساؤلات أو الشكوك التي ارّقت ذهنه ومخيلته ، وسعى سعيا حثيثا لإيجاد الأجوبة والحلول ، فاهتدى الى الفلسفة علّه يجد ضالته ، وقيل : " كان اكثر ما يحيّره الغوامض في الكون كالمرض والشيخوخة والموت ، فدأب على دراسة فلسفة الهندوس والبرهمية ، وتخرج على أيدي فلاسفتهم ، إلا انه لم يجد الأجوبة الشافية لتساؤلاته " [١١] .

جرب بوذا حياة الزهد والتقشف الشديد في المأكل والمشرب والملبس مريدا بذلك الوصول الى المعرفة الحقيقة لظواهر الأشياء وبواطنها ، إلا أنه ترك ذلك أيضا ليصل في ختام رحلته المعرفية إلى حقيقة أخرى مفادها ان معرفة الأشياء تكمن في عقل سليم بجسم سليم ، عندها أخذ بنصح الناس وصار له أشياع ومريدين ، وجمعت أقواله ووصاياه وخطبه في كتاب سمي (الداماباداا) كتاب بوذا المقدس ، ترجم الى العربية بعنوان (قرآن بوذا) وقسمه مترجمه الى سور وآيات ، فمثلا سورة (الوعي) ، وفيها تسع آيات هي :

كم سهل ان تقتلع الريح الشجر الواهنَ .
إن أنت رأيتَ سعادتك القصوى في الشهواتِ
وفي المأكل والنومِ
فانك مقتلع ايضا .
لن تقلع الريح الجبلَ .
والإغواء لن يلمس من كان قويا ، يقضا ، وحييا
لن يلمس من يتحكم بالنفس ، ويتبع الدرب [١٢] .

وسورة أخرى اسمها (سورة الأزهار) يقول فيها :

مثل زهرة جميلة المرأى ، واللون ، ولكن بلا اريج .
هي الكلمات اللطيفة غير المثمرة لأولئك الذين لا يعملون بها .
لكن مثل زهرة جميلة المرآى واللون ومتضوعة بالأريج .
هي الكلمات اللطيفة المثمرة لأولئك الذين يعملون بها [١٣] .

كلمات جميلة أخذت مأخذها في نفوس اتباعه ، وفي مخيلة الفكر الإنساني حتى اليوم ، لكن الفارق أن اتباع بوذا ارتقوا به فوق مستوى البشرية بعد موته ، وبعد تقادم الأيام وصل بهم الحد إلى تقديسه وتأليهه شعورا منهم بالحاجة اليه وفقرهم أمام ما جاء على يديه اي العجز عن مجاراته ، فكما قيل:" راح الاتباع يؤلهون بوذا نفسه، وأخذت كتبهم المقدسة تتحدث عن الاله بوذا وتصف كيف تقدم له القرابين بعد ان كان بوذا ينهى عن عبادة الأصنام اقام له اتباعه التماثيل في كل معبد وجعلوا منه إلها يُعبد " (١٤) .

وأمر التأليه يرجع الى " أنَّ الذهن البشري يرغب في مزيد من الاستعلاء ، والى طبيعة النفاق التي تدفع الضعيف وذا الحاجة إلى ممالاة القوي ومن بيده الصولجان " (١٥) ، من غير المنصف وصف دمج التأليه لصاحب الامتياز الديني مع من بيده الصولجان فقد يكون امر الأخير راجع إلى النفاق في حين الأول مرد تقديسه هو الاعتقاد ، أو كما يقول حبيب سعيد : " وكأنما اصل فكرة الألوهية وتطورها إنما كانت نتيجة عبادة الموتى البارزين وتأليههم ، واذ كانوا موضع التوقير والخشية في حياتهم على الأرض ، فان أرواحهم قد أُكرمت بعد موتهم وقدمت لها الترضيات وقامت حولهم ممارسات وأوضاع من العبادة " (١٦) .

وقيل أيضا : وبعد وفاة بوذا نسج من جاء بعده الكثير من الأساطير والخرافات حوله ، وأوجدوا هالة من التقديس والإجلال حول شخصه ، وصل عند بعضهم أنهم اعتقدوا أنه إله تجسّد بصورة بشرية ، ومثلوه في صورة المنقذ والمخلص للناس (١٧) .

ما تقدم من آراء حول المغالاة ببوذا لا تجيب عن السر وراء تلك المغالاة وأسباب التقديس ، لذا يمكن القول إن الفهم البشري للشخص الاستثنائي لا يمكن أن يُعدّ إزراءً به مهما كانت قيمة الشخص ، بل إنَّ قيمته تكمن في بشريته، ووردت نصوص كثيرة في الدين الإسلامي تعالج هذه الحالة كقوله تعالى: ((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)) الكهف/١١٠، وهذه الآية الكريمة تحكي حال النبي العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبلها حال نبي الله عيسى وامه (عليهما السلام) في قوله تعالى: ((مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)) المائدة/ ٧٥، هذه الآيات المباركات ترد على الطلب اللاواقعي الذي يحكي شعور الغرابة بان الخوارق ينبغي أن لا يأتي بها بشر لكي تستحق الإيمان والتصديق، قال تعالى: ((مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)) الشعراء/١٥٤.

فالاحترام الذي يكنه المؤمن للمقدس هو مزيج من الرعب والثقة بدليل انه يعزوا ما يتهدده من كوارث يسقط هو ضحيتها وما يحققه أو يطمح اليه من ازدهار الى عمل بعض المبادئ والقوى التي يجهد نفسه في ترويضها ، إن الدين مهما بلغ في التطور أو البداءة يتضمن إقرارا بتلك القوى التي يتعين على الإنسان التعامل معها ، فالمقدس يتمتع بقوة جذب سحرية [١٨] .

شيء آخر ينبغي الالتفات له وهو أن كثير من الأشخاص تكون معيشتهم ومكانتهم على المغالاة بهم ، فهم في لا شعورهم يطلبون تبجيلا وتقديسا وانبهارا من الناس ؛ ليكون ذلك مدعاة للمضي أكثر بجهودهم ودافعا للتقدم بعملهم ، كمن يخطب بالناس خطبة غراء أو يلقي قصيدة عصماء ظانا ان الناس سيهتفون جميعا بصوت واحد لا فض فوك ، ولمثل هذا فليعمل العاملون ، فاذا قوبل بتقييم بارد وتأثر بسيط يصاب صاحبنا بالإحباط وخيبة الأمل إذن فهو في لا شعوره يطلب من الناس غلوًا به وانبهارًا بجهده ، مردّ ذلك هو حب التميز والمغالاة بالذات المغروسة في أعماق شعور الفرد ، وإن أظهر عدم الاكتراث بذلك .

من المؤكد لا يمكن وصف العظماء الذين يحملون هما إنسانيا يتسع جميع بني الإنسان بتلك الصفات المتقدمة ، بل نجدهم يجهدون انفسهم بإيصال رسالتهم وحبهم للجميع ، ويخيب أملهم لا لخسارة انفسهم عند عدم الإيمان بهم ، وإنما لخسارة الآخر نفسه عند ردّه دعوتهم ، لكن يبدأ الغلو في نفوس اتباعهم ومريديهم عند سعيهم لفرض إيمانهم وإظهار القداسة لهم كنوع من فرض الذات وتغليب العاطفة على العقل ، وهذا ما حدث لإتباع بوذا ، كما يقول حبيب سعيد " وقد رأينا في البوذية المتأخرة إن القوم نسوا إنسانية بوذا وجعلوا منه معبودا ، وكل دين يقوم على إنكار الله يعرّض نفسه للانهيار ، فاذا خلت السموات من ربها بادر البشر إلى ملئها بآلهة من مبتكرات خيالهم " [١٩] .إذًا نتيجة التقديس الزائد والارتفاع بالبشرية إلى الألوهية ، لا شك فإنَّ ذلك نتيجة حتمية للغلو وتجاوز الحد في حب ذلك الشخص أو اتباعه وتقديسه .

٢ – كونفوشيوس :زعيم صيني معروف توفي ٤٧٩ ق . م اهتم بالجانب الإنساني من حيث ترتيب علاقته الاجتماعية والسياسية ، فالاجتماعية هي علائق الناس فيما بينهم ، حيث أسس لنظام قائم على الاحترام يبدأ به من الأسرة الواحدة وحتى باقي طبقات المجتمع ، أما على صعيد الجانب السياسي فاهتم بشؤون الحكام ، مطالبا أن يكون الحاكم عبرةً للمحكوم في تطبيق النظام والعدالة والمساواة ، وبالوقت ذاته داعيًا الى ضرورة توفر الثقة بين الحاكم والمحكوم. فقيل عنه : يعد كونفوشيوس احد الرجال القلائل الذين أثروا تأثيرا عميقا في التاريخ البشري، فقد كان حكيما وفيلسوفا وسياسيا وأخلاقيا ورائدا من رواد التربية والتعليم ، شكلت شخصيته الوعي لدى الصينيين؛ لذا يكاد يكون المعبر الحقيقي عن الفكر الصيني ، وهذا سبب نظرة الصينيين إليه نظرة المؤمنين

إلى أنبيائهم ، فبنوا له الهياكل في البلدان وقدموا إليه القرابين ، على الرغم من انه رفض أن تتضمن احاديثه أفكارا ميتافيزيقية مثل الموت والآخرة والملائكة [٢٠] .

هذا الكلام ينبغي مراجعته والوقوف عنده، فالمؤمنون لم يبنوا الهياكل ولم يقدموا القرابين للأنبياء الكرام (عليهم السلام) ، ولكن يمكن القول تشابهت النظرتان من حيث التقديس والتبجيل ، في حين الفارق هنا هو الالتجاء إلى التقديس المصحوب بالغلو، وتجاوز الحدّ عند اتباع كونفوشيوس حدّ العبادة وتقديم القرابين ؛ لان الربط الغيبي والميتافيزيقي جزء من كينونة الإنسان ونسقا من أنساقه العقدية وحتى في الوقت الحاضر، بينما كان في الأزمان البدائية على أوجّه ، في حين نجد أنَّ كونفوشيوس لم يبدِ اهتماما بتلك الجوانب . وهذا ما سيتضح اكثر في نماذج من أخلاقياته وحكمه ، فحتى في عصر التنوير وإرادة حكم العقل فقط ، وأن لا سلطة على العقل إلا العقل وتغييب الدين ، فانه لم ينجح ، اي عصر التنوير، برفضه المطلق للدين وإنما بقي للفرد توجهه الغيبي والطقوسي على المستوى الشخصي ، فقط تم عزل الجانب الديني عن الحياة السياسية والاقتصادية في المؤسسة الحكومية وهذا ما عرف بفصل الدين عن السلطة ، وذلك بعد أن اصبح الدين وسيلة للابتزاز وتسويق الخرافة والسيطرة على مقدرات الناس باسمه وتسخير جهود الإنسان لصالح فئة معينة وجماعة خاصة ، فقيل : " منذ نيتشه * بل مع حدث الأنوار ونقدها للوهم والخرافة اعتبرت العديد من التحليلات أن نشأة العالم الديمقراطي كانت نتيجة قطيعة أساسية مع الدين " [٢١]. وذلك لم يؤدِ إلى قطيعة الإنسان مع الغيب .

تعددت الرؤى الناظرة لعبادة الصينيين ، فواحدة تثبت عبادتهم لله تعالى، وثانية تؤكد تقديس لمظاهر الطبيعة ، وثالثة تقول إنَّ عبادتهم متوجهة لأرواح الآباء والأجداد ، فقيل : إنَّ كونفوشيوس لم يكن مدعيا رسالة ولم يكن رسولا مبعوثا ، بل كان حكيما يبشر بمذهب أخلاقي ويتمسك اشد الاستمساك به ، أما عقيدته ، فلم تتجاوز عقيدة الصينيين القدماء المتمثلة في السماء والأرواح المسيطرة على مظاهر الأشياء وأرواح الآباء [٢٢] .

وقيل : عبد الصينيون القدماء مظاهر الطبيعة والأرواح المسيطرة على ظواهر الأشياء ، وآمنوا بأن إله السماء كائن عظيم يحب الخير ويكره الشر، وهو ما آمن به كونفوشيوس ، وحثّ اتباعه عليه ، فقد سلّم كونفوشيوس بشرائع السماء على الرغم من عدم اهتمامه بمعرفة شيء عن الله وأسمائه وصفاته ، بل بذل جهده في إصلاح الناس ، فكان الدين عنده مواساة اليتيم والبر بالفقير والمعوز [٢٣] ، نعم الدين مجموعة من العقائد والنظم ولكم من أهمها مواساة اليتيم والبر بالفقير ، واذا حاكمنا منطقه في إصلاح أحوال المجتمع فانه يكون نفس منطق الأديان التي تؤمن بكرامة الإنسان وتكافله مع أخيه الإنسان ، وان لم يرد ذكر الدين على لسانه ، لكن المجتمع بصورة غالبة ينصاع

للأفكار والرؤى المنطلقة من رحم الدين اكثر من غيرها وان كانت من رحم الإنسانية ، وهذا ما يدفع الاتباع إلى إضفاء القداسة على أفكار من يقدسون ؛ فلذا قيل : " بعد وفاة كونفوشيوس قدسه اتباعه وألّهوه فقدموا له القرابين في مواسم عدت فيما بعد حجّا غير ملزم لهم وكان يرافق احتفالهم بهذه الفريضة الغناء والرقص على انغام الموسيقى " [٢٤] .

هذه النتيجة المغالية جاءت بفعل التقديس ، ورفع الإنسان فوق مستواه البشري ليبرر ذلك استثناءه ويلهم اتباعه بتمتعه بقدرات تفوق أقرانه ، ومن ثمّ فهو يستحق التبجيل والعبادة ومن مستحقات العبادة تقديم فروض الطاعة وأداء طقوس معينة تشعر الفرد أو المجتمع بتميزه عن باقي الأفراد أو المجتمعات عن طريق تقديم الأضاحي والقرابين ، كما يقول المستشرق جيب : " تحتاج الآلهة الى الإنسان احتياج الإنسان إلى الآلهة ؛ لان الآلهة تموت بدون قرابين وأضاحي ، والحق ان المقدس يعلو على العادي " [٢٥] ، وهذا القول ينطبق على الالهة البشرية التي تعيش على وجود اتباعها ومقدار طاعتهم لها ، ولا ينطبق على الله تعالى الغني الحميد .

بعض من تعاليم كونفوسشيوس:

من السمات البارزة لهذا المعلم هي حمكه وتعاليمه التي تتداولتها اغلب المؤلفات التي كتبت وتكتب عن هذا الحكيم الصيني ، فنجد مثلا اهتمامه بإعمار الحياة وعدم التركيز أو لنقل عدم الاهتمام بما ورائها هو قوله لاحد تلاميذه عندما سأله عن الموت ؟ فأجابه " اذا كنت لا تفهم الحياة، فكيف يتأتى لك ان تفهم الموت " [٢٦] . ومما يدل على حبه للعلم وشغفه بالمعرفة قوله : كلما سرت مع رجلين وجدت لنفسي أستاذين ، من له فضائل فهو قدوتي ، ومن له رذائل فهو عبرتي [٢٧] ، ويقرُّ ان مصدر الفضائل هو الإنسان فهو بتطبيقه للفضائل يعطيها قيمتها ، ولا قيمة لها بلا تطبيق فيقول " إن الإنسان هو الذي يجعل الصدق عظيما ، وليس الصدق هو الذي يجعل الإنسان عظيما " [٢٨] .

وفي الجانب الاجتماعي فلديه الكثير من الوصايا التي تهم الأسرة والتعامل الحسن الطيب مع الأبوين ، والمعاشرة الطيبة بين أبناء المجتمع لتستقيم العلاقة بين أبنائه قائمة على إزالة الفوارق الاجتماعية والطبقية ، كقوله : الرجل الفاضل حقا هو من يرغب في تثبيت أقدام الناس كما يرغب في تثبيت قدميه ، يريد لنفسه النجاح ويكافح ليساعد الآخرين كي ينجحوا [٢٩] .

واكثر ما يثير الاهتمام وصاياه المتعلقة بمجال الساسة وما هو المطلوب من الحاكم من واجبات تجاه رعيته ، ويبدو أنه كان جريئا في هذا المجال ، فلم يدّخر وسعًا في تشخيص الأدواء التي يصاب بها الحاكمون على مرّ الزمن ، فمثلا يقول : السياسة في الإصلاح فان جعلت نفسك أسوة

حسنة لرعيتك فمن الذي يجترئ على الفساد ، وفي كلام آخر : إنَّ أخلاق الرؤساء كالريح وأخلاق المرؤوسين كالعشب ، فإلى أية جهة هبت الريح مال العشب [٣٠] .

ويؤكد هذا الحكيم الصيني ضرورة وجود الثقة بين الحاكم والمحكوم لتستقيم الرعية ، واستقامتها تكون نتيجة لاستقامة الحاكم، فيعين على الحومة توفير ثلاث وسائل بينها وبين شعبها، فقيل : أعطهم القدر الكافي من الطعام والسلاح والثقة بالحاكم وعندئذ فان الناس سوف تثق فيمن يتولون السلطة ، فاذا كان الحاكم مضطرا للتخلي عن واحدة يبدأ بالسلاح ثمّ الطعام ؛ لان الموت امر ملتصق بالإنسان منذ البداية ، لكن عندما تنعدم الثقة في النظام ، فإنَّ الناس لن تتمكن من مواصلة مسيرها [٣١] .

من حقِّ الصينيين أن يتشرفوا بالانتساب لهذا الحكيم العملاق ونعته بأجمل النعوت وتبجيله واحترامه ، ولكن بلا غلوٍ يوصله إلى الألوهية ، فالعجز في الإنسان ليس عيبا أنما العيب ان يبرر ذلك العجز بتاليه تلك الشخصيات الفذة ، وشيء آخر يجدر التطرق اليه وهو انه على الرغم من عبادة أو تقديس تلك الشعوب لبعض عظمائها لا نجد فيها سفكا لدماء من لا يؤمن بهم وذلك يحسب لهم مزية يمدحون عليها .

المبحث الثالث/ الغلو الديني نظرة قرآني:

إن أيّ مجتمع قابل للإصابة بأمراض كثيرة على مستوى الفرد والجماعة ، وفي أحيان كثيرة تنتقل تلك الأمراض من الفرد لتكون سلوكا مجتمعيا ، وهذا امر بالغ الصعوبة عسير المعالجة، فمن هذه الأمراض على مستوى تعامل أبناء المجتمع فيما بينهم الربا والغش في التعامل التجاري، وفي التعامل الاجتماعي نجد السرقة والتعدي على الحرمات ، وعلى المستوى الشخصي نجد الكذب والخيانة. والغلو واحد من الأمراض التي شخصها الدين الإسلامي، وعلى مستوييه الفردي والمجتمعي محذرا منه ومبينا نتائجه وآثاره المقوضة لبناء الفرد والمجتمع.

عندما نطالع الآيات القرآنية التي تذم الغلو نجد أنها تذكر صراحة أسباب ذلك الذم ، وهو تجاوز الحقّ وتعديه حسبما يفرضه هوى الإنسان المغالي ، ومن ثمّ جني الأكل الخمط والنتائج التي تهدد بناء المجتمع وتؤدي إلى تشرذمه ليصل الحدّ أن يستعدي بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا .

هذه النتيجة الحتمية للشعور المتضخم بالذات المغالية ، ولكن في كل الأحوال لا يُبَرر الاعتداء على الإنسان بسبب فكرة آمن بها ، ورأي ذهب إليه .

إن التعلق الزائد والحب والتقديس تكاد تكون صفات ملاصقة لكثير من الناس ولا سيما مع المنفعلين عاطفيا ، وهذا أمر في ذاته لا يُعدّ خطرًا ما دام لا يشكلُّ تهديدًا للإنسان ويبقى ضمن نطاق اعتقاد الفرد نفسه ، فكما ورد عن الإمام السجاد (عليه السلام) قوله : "(من العصبية أنْ يرى الرجل شِرار قومه خيراً من خِيارِ قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يُعين قومه على الظلم) " [٣٢] ، الفقرة الأولى والأخيرة من حديث الإمام السجاد هي الغلو اي تفضيل شرار القوم ؛ لأنه انتسب اليهم على خيار غيرهم أو هي التعبأ ضد الآخرين بمجرد الاختلاف معهم وغض النظر عن ظلمهم .

وبالعودة إلى الآيات القرآنية الكريمة لتتبع لفظة الغلو فنجد قوله تعالى: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا)) النساء/١٧١.

هذه الآية المباركة تتحدث عن العقيدة المسيحية محذرةً إيّاهم من الغلو في عيسى عليه السلام وتجاوزهم الحدِّ في وصفه وإظهار معجزاته ، فشأن ذلك مآله قول غير الحق كما صرحت الآية بذلك ، وهذا ما ذهب إليه اغلب المفسرين ، فقد قال الشيخ الطوسي : هذا خطاب من الله تعالى لأهل الكتاب الذي هو الإنجيل وهم النصارى نهاهم الله تعالى أن يغلوا في دينهم بان يجاوزوا الحق فيه ، ويفرطوا في دينهم ، ولا يقولوا في عيسى غير الحق ، فإن قولهم في عيسى إنَّه ابن الله قول بغير الحق ، لأن الله تعالى لم يتخذ ولدا فيكون عيسى أو غيره من خلقه ابنا له ، ونهاهم أن يقولوا على الله إلا الحق ، وهو الإقرار بتوحيده ، وانه لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد ، واصل الغلو في كل شيء تجاوز حده [٣٣] .

وتجاوز الحدّ لا يكون بإعطاء ميزات للإنسان فوق حده ، بل قد يكون التقصير بحقه كما في موقف اليهود من عيسى عليه السلام وهذا ما ذكره الفخر الرازي : يا أهل الكتاب من النصارى لا تغلوا في دينكم أي لا تفرطوا في تعظيم المسيح ، وذلك ؛ لأنه تعالى حكى عن اليهود أنهم يبالغون في الطعن في المسيح ، وهؤلاء النصارى يبالغون في تعظيمه وكلا طرفي قصدهم ذميم [٣٤] .

وقال السيد الطباطبائي في مغالاة المسيحيين بعيسى عليه السلام : الآية تبين أنَّ غلوهم في الدين بغير الحقِّ ؛ إنما طُرِء عليهم بالتقليد واتباع أهواء قوم ضالين من قبلهم ، وليس المراد بهؤلاء القوم أحبارهم ورهبانهم ، فإنَّ الكلام مطلق غير مقيد ، ولم يقل قوم منكم وأضلوا كثيرا منكم ، وليس المراد بهم عرب الجاهلية ، إنما المراد بهؤلاء المذكورين وثنية الصين والهند والغرب [٣٥] ، ما دام الكلام على إطلاقه فلا وجه لاستبعاد الأحبار والرهبان ؛ لأنه قد يكون من بينهم من اقتنع بتلك

الأفكار الوثنية، وبثها في أبناء قومه هذا من جانب، ومن جانب آخر الأفكار لا تأخذ مكانها في النفوس وتصبح عقيدة عند الناس إلا اذا جاء بها أشخاص لهم قيمتهم ومكانتهم الدينية كالأحبار والرهبان عند المسيحيين.

وفي آية مباركة ثانية يذمّ الله تعالى الغلو؛ لأنه أيضا يؤدي إلى الباطل ، وكذلك الاتباع بلا دليل وبلا تعقل لان الأسلاف قالوا هذا القول، واتبعوا هذا المذهب، فإنا على آثارهم سالكون ذلك غلو أيضا؛ لأنه نبع من عصبية أو أنانية أو عرقية ، فقال تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)) المائدة/٧٧.

يقول الشيخ مكارم الشيرازي في مسألة الغلو: لقد كانت قضية الغلو في حق القادة السابقين إحدى اخطر منابع الانحراف في الأديان السماوية، فالإنسان بما انه يميل إلى ذاته، يندفع بهذا الميل إلى إظهار زعمائه وقادته بصورة أكبر ممّا هم عليه لكي يضفي على نفسه الأهمية والعظمة من خلال هؤلاء القادة، وقد يحسب الإنسان بان الإيمان هو المبالغة والغلو، بينما الغلو في اصله ينطوي على عيب كبير يفسد العنصر الأساس للدين الذي هو الذي هو عبادة الله تعالى وتوحيده[٣٦].

وتوجد إشارات الى ما يدعيه اتباع عيسى عليه السلام في حقه، وذلك تسويغا لغلوهم فيه مثل عبارة (كلمة الله) التي وردت في القرآن الكريم فهي تقابل قولهم (ابن الله) التي آمنوا بها ووردت في أناجيلهم ، بيد أن عبارة كلمة الله في اغلب التفاسير اذا لم اقل كلها اتفقت انها امر الله تعالى وهو كن فيكون ، إشارة إلى قوله تعالى: ((إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)) آل عمران/ ٥٩. وعبارة (ابن الله) ذمها القرآن الكريم وحذر منها ؛ لانها علامة الغلو وتجاوز الحد قال تعالى: ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)) التوبة/٣٠ .

إنَّ الملفت للنظر في عبارة (ابن الله) نجد اغلب المفسرين نظر اليها بمعناها الحرفي الذي يتضمن معنى الشريك ؛ ولهذا وصف الله تعالى القائلين بها بالإشراك ، بينما نجد فريقا آخر قد فصّل القول في تلك العبارة بما يقترب ورأي المسيحيين انفسهم ، حيث ان استعمال هذه العبارة هو للتشريف والتوقير ، ولدلالة قرب العبد من خالقه أو مولاه ، وهنا التساؤل اذا كان الأمر كذلك فما الضير فيها ، ولماذا غلّظ القرآن في ذمها حتى وصفهم الله تعالى في قوله: (يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ) ولبيان ذلك امرٌ على نزر يسير من آراء الفريق الأول ثم أعقبها براي الفريق الثاني . قال الفخر الرازي : علم أنه تعالى لما حكم في الآية المتقدمة على اليهود والنصارى بأنهم لا

يؤمنون بالله ، شرح ذلك في هذه الآية وذلك بأن نقل عنهم أنهم أثبتوا لله ابنا ، ومن جوز ذلك في حق الإله فهو في الحقيقة قد أنكر الإله ، وأيضاً بين تعالى أنهم بمنزلة المشركين في الشرك ، وإن كانت طرق القول بالشرك مختلفة ، إذ لا فرق بين من يعبد الصنم وبين من يعبد المسيح وغيره لأنه لا معنى للشرك إلا أن يتخذ الإنسان مع الله معبوداً ، فإذا حصل هذا المعنى فقد حصل الشرك، بل إنا لو تأملنا لعلمنا أن كفر عابد الوثن أخف من كفر النصارى ، لأن عابد الوثن لا يقول إن هذا الوثن خالق العالم وإله العالم ، بل يجريه مجرى الشيء الذي يتوسل به إلى طاعة الله. أما النصارى؛ فإنهم يثبتون الحلول والاتحاد وذلك كفر قبيح جداً ، فثبت أنه لا فرق بين هؤلاء الحلولية وبين سائر المشركين [٣٧] .

وقال الفخر الرازي في عبادة اليهود لعزير : " لعل هذا المذهب كان فاشيا فيهم ثمّ انقطع ، فحكى الله تعالى ذلك عنهم ، ولا عبرة بإنكار اليهود ذلك ، فان حكاية الله عنهم اصدق " [٣٨] . معنى هذا الكلام أنّه لا يوجد من يعبد عزير الآن عند اليهود ، لكنه ذكر في القرآن كمظهر من مظاهر الغلو لأجل التحذير منه وانه سلوك قبيح كما يقول الآلوسي : " والقائل عزير ابن الله هم متقدمو اليهود ونسبة الشيء القبيح اذا صدر من بعض القوم الى الكل مما شاع " [٣٩]

وعند الرجوع إلى السند التاريخي الذي يتحدث عن تقديس اليهود لعزير ؛ لأنه أعاد كتابة التوراة بعد أن فُقدت أو أُحرقت ، ويذكر اغلب المفسرين لذلك قصة هي اقرب للأسطورة فمنهم من يذكر انه أُلهم حفظ التوراة فأعاد كتابتها ، ومنهم من يذكر بأنه أكل شيئا كالجمرة ؛ فأصبح أعلم الناس عندها استطاع كتابة التوراة وقد قابل بعض علمائهم ما كتب بنسخ كانت مدخرة في جبال أخفاها أحبارهم فوجدوها نفس ما كتب عزير ، وقال بعضهم إنما صنع هذا لأنه ابن الله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا [٤٠] .

هذا الجانب الذي عدّه اليهود إعجازا في شخصية عزير أن يكتب لهم التوراة من جديد ، الكلام نفسه ينطبق في بعض أجزائه على عيسى عليه السلام ، فيقول البيضاوي : " وقالت النصارى المسيح ابن الله ، هو قول بعضهم وإنما قالوه لاستحالة أن يكون ولد بلا أب ، أو أن يفعل ما فعله من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى " [٤١] .

ويذهب الشيخ الشيرازي في هذا الاتجاه بقوله : لا ريب ان المسيحيين يعتقدون أن عيسى عليه السلام هو الابن الحقيقي لله ولا يطلقون هذا الاسم إكراما وتشريفا له ، بل على نحو المعنى الواقعي ، وهم يصرحون في كتبهم إن اطلاق هذا الاسم على غير المسيح بالمعنى الواقعي غير جائز ، ولا شك أنَّ هذا من بدع النصارى [٤٢] .

كثير من المفسرين لم يرتضوا هذا الرأي ، وذهبوا إلى أنَّ ادعاء البنوّة لله تعالى إنما هي من مقامات التشريف ، يقول الفخر الرازي : والأقرب عندي أن يُقال لعله ورد لفظ الابن في الإنجيل على سبيل التشريف ، كما ورد لفظ الخليل في إبراهيم ع على سبيل التشريف ، ثم أن القوم لأجل عداوة اليهود ولأجل ان يقابلوا غلوهم الفاسد في احد الطرفين بغلوٍ فاسد في الطرف الثاني فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجهّال قبلوا ذلك ، وفشا هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام [٤٣] . يتضح من الراي المتقدم عدم قناعة الرازي بمذهب البنوة ، لكن يقرّ في نهاية كلامه ان هذا الراي اصبح فاشيا عند المسيحيين بسبب الصياغة المغلوطة أو المتعمدة من بعض المنتفعين والمستغلين للحس الديني الذين يتسلقون عن طريقه الى أذهان العامة ، ولكن حتى لو كان الأمر كذلك لا نجد اليوم بين المسيحيين من يؤمن بحقيقة الولادة .

ويرى الباحث أن رأي السيد الطباطبائي أقرب إلى الواقع ، وهو قوله : " وبالجملة وضعهم بعض أنبيائهم وأحبارهم ورهبانهم موضع الربوبية وخضوعهم لهم بما لا يخضع بمثله إلا لله سبحانه غلو منهم في دينهم ينهاهم الله عن ذلك بلسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم . وتقييد الغلو في الدين بغير الحق – ولا يكون الغلو إلا كذلك – إنما هو للتأكيد وتذكير لازم المعنى مع ملزومه لئلا يذهل عنه السامع وقد ذهل حين غلا أو كان كالذاهل " [٤٤] .

إنَّ خضوع الإنسان لبني جنسه في مواقع كثيرة قد يكون أمرا محمودا ، كخضوع الجندي لقائده وخضوع العامل لرب العمل وخضوع التلميذ أو الدارس أو المتعلم لشيخه ومعلمه ، فكل ذلك في مجال سير الإنسان إلى تكامل إنسانيته لا إلى انحدارها ، أما الأمر المرفوض ؛ فهو الخضوع المطلق الذي يشبه العبودية ومعه يغيب العقل والتعقل ويسلب حق الرفض والسؤال والشك ، وهذا هو معنى انحدار الإنسانية .

الإنسان إنسان بعقله بشكه برفضه بدينه ، ولا يكون إنسانا بتلقينه فيصبح حاله حال كثير من الجمادات المتكلمة بقوة خارجية كاللُعَب التي يلهو بها الأطفال ، وعند غياب التعقل يصبح الإنسان العوبة بيد المنتفعين ايًا كانوا يلهون به كيفما شاءوا ، ومتى ما نفذت طاقته فحاول تفكيرا أو رفضا أو تبرما يُعاد شحنه وتزويده بطاقة جديدة كما اللعبة اذا نفذت طاقتها يعاد شحنها ، وفي هذه الحال يجبن العقل ويخفت ضوؤه ومن ثم يخضع ، والخضوع يلازمه الغلو ؛ لإنَّ المغالي لا يرى أحدا سوى الشخص الذي يزوده بالطاقة حتى ،وإن كانت تريق الدم وتزهق الأرواح .

المبحث الرابع/ الاحاديث الشريفة التي تحذر من الغلو:

الأحاديث المباركة عندما تشخص أدواء الواقع ، فمن المؤكد أنها تصف العلاج الناجع لتلك الأدواء، فكما أنَّ القرآن الكريم في كثير من الأحيان تنزل آياته الكريمات استجابة لحالة معينة أو معضل معين أو جوابا لسؤال معجز ، فكذلك الاحاديث الشريفة تنظر الى الواقع الإنساني وما يعتري مسيرتها من عراقيل لتضع الأقدام على الجادة السوية ، وهنا سأذكر بعض الاحاديث التي نصت على تهذيب السلوك الاجتماعي وترتيب علائق الإنسان من دون تجاوز للحد ، ورسم منهج متزن عادل يحافظ على إنسانية الإنسان وكرامته ، لأنتقل بعدها للاحاديث التي تنظم عقيدة الإنسان بعيدا عن المغالاة وإسقاطات بعض الانفعالات ، وهذا ما يريده الله تعالى على لسان أنبيائه ورسله.

فمثلا قول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا : عبده ورسوله) [٤٥] ، الإطراء هو المدح ولكن هل هو مطلق المدح ام فيه شيء محذور ليحذر منه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال ابن حجر : لا تطروني اي لا تمدحوني كمدح النصارى حتى غلا بعضهم في عيسى فجعله إلها مع الله تعالى ، وبعضهم ادّعى انه هو الله ، وبعضهم قال انه ابن الله تعالى الله عن ذلك [٤٦] .

إذن الإطراء هنا غلوٌ من جانب المُطرِي كما قال ابن منظور : " الإطراء هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه " [٤٧] .

ممّا تقدم يتضح أن الإطراء في ذاته أمر غير محذور، لكن الحذر من تجاوز الحد فيه حتى يصل إلى الشرك أو الوقوع في الشبهات ، وهنا النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن ذلك الإطراء الذي أوقع المسيحين في الغلو وتجاوز الحدّ ، كي لا يقع المسلمون في ما وقع فيه غيرهم .

وقريب مما تقدم جواب الإمام الرضا عليه السلام عندما سأله المأمون بقوله : بلغني أنَّ قومك يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحد ، فقال الرضا : حدثني أبي عن آبائه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا ترفعوني فوق حقي ، فان الله تبارك وتعالى اتخذني عبدا قبل ان يتخذني نبيا [٤٨] ، وألفت النظر إلى انه على ضوء هذا الحديث والذي قبله ففيهما دعوة للمسلم ان يتعامل تعاملا متزنا وينظر نظرا سويا الى شخص النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم غير مغالٍ فيه ، ومن باب أولى عدم تجاوز الحد فيمن هم ادنى من النبي منزلة ومقاما وتجنب التقديس الذي يرفع الشخص فوق مستوى البشرية والآدمية .

كتب عبد النور بيدار وهو كاتب فرنسي مسلم دراسة في مجلة قضايا إسلامية معاصرة عنوانها (كيف نضفي القداسة على حياتنا) انطلق من الآيات التي تنص على خلافة الإنسان في الأرض ليصل الى تقديس حياة الإنسان بوصفه إنسانًا بصرف النظر عن الأوصاف التي توحي بالتميز بين بني الإنسان ، فيقول : إنَّ فكرة الإنسان خليفة الله تغذي عقل كل إنسان مؤمنا كان أو لا ، فاذا كنا نؤمن أو نتصور اننا خلفاء الله صار بإمكاننا أن نتساءل ، ما يفعل الله بعدما نحل محله في الأرض ؟ الجواب الذي قدمه كل التراث الروحي للإنسانية هو ان الله تعالى قوة خلاقة فهو يخلق الحياة ويبدع الحياة في صور وأشكال لا تنتهي ، تلك هي الحقيقة التي يجب الإلمام بها حتى نستحق خلافة الله في أرضه ، ومن ثم تمنح لنا فرصة لتجاوز ذواتنا كأفضل سبيل الى خلع القداسة على النفس البشرية ، ويتحول " الأنا " الى قوة خلاقة للحياة ، فخليفة الله في هذا المقام معناه حصولنا على قوته الخلاقة وتنمية كينونتنا كقوة مبدعة [٤٩] .

إنَّ استشراء السلوك المغالي يولد حتمًا سلوكًا انفعاليًا يفسد عقل الإنسان، ويغلق عليه سمعه وبصره حتى تصبح كثير من الدعاوى والمغالطات حقائقَ يدافع عنها ذلك المغالي باستماتة ؛ لأنها لبت رغبة واندفاعًا عاطفيًا وتماشت مع مزاج انفعالي يميل الى المبالغة وتجاوز الحد تقديسا وإتباعا ، واحيانا ابتداع وخلق أوصاف غير معقولة ولا يمكن تصورها بحجة أن من قيل فيه تلك الأوصاف يستحق المبالغة ، وكما قيل في الحكمة : حدث العاقل بما لا يليق فان صدق فلا عقل له ، نعم سيصدق المغالي الشيء غير المعقول ؛ لأنه تعامل انفعاليا لا عقلائيا وأمثلة ذلك كثيرة ولعل أهمها الزعامات الدينية والسياسية .

ومن الاحاديث في هذا الباب ، الاحاديث التي تنهى عن المغالاة في مهور النساء ؛ لتستقيم الحياة الاجتماعية وتنمو نموا طبيعيا بعيدا عن التشوهات التي يفرضها الغلو وتجاوز الحد ، فمثلا حديث الامام علي: (لا تغالوا في مهور النساء فتكون عداوة)[٥٠] ، وحديث الخليفة عمر بن الخطاب : (لا تغالوا في صداق النساء ؛ فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها محمد) [٥١] .

ولنا أن نسال ما سبب النهي عن المغالاة في المهر وهو حق خالص للمرأة ؟

بعيدا عن دلالة الحديثين على الكراهة أو الحرمة في المبنى الفقهي ، وبعيدا عن كثير من الدراسات التي تناولتهما من باب الرد والنقض من المبنى الفُرَقي لتنتصر كل فرقة أو طائفة لرأيها ورادةً الرأي الآخر ، انظر اليهما عبر النافذة الاجتماعية ، وهي ان تجاوز الحد في المهور يفتح الأبواب امام معضلة اجتماعية ونفسية تنذر بخطر كبير يهدد حياة المجتمع واستقامة علاقاته ؛

لأنه قد تصبح المغالاة سنة متبعة في العرف الاجتماعي ؛ وبذلك تحرم رجالا ونساء عجزوا عن الإيفاء بدفع تلك التكاليف الباهظة من ان يؤسسوا لهم حياة زوجية طبيعية .

إذن المغالاة في المهر انحراف سلوكي اجتماعي يعطل تراتبية العلاقات الزوجية القائمة على المودة والسكن والرحمة والشعور المتناهي في القرب وينحو به نحوا ماديا يقضي على جوانبه النبيلة بل يمسخ تلك الجوانب الى نفعية ومصلحية تفشل المشروع ولو بعد حين .

وبانتقال إلى الجانب العقدي حيث التحذير من الغلو نطالع حديث النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : (إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم في الغلو) [٥٢] ، نجد ان هذا الحديث وكأنه مقتبس من الآيات الكريمة التي نهت عن الغلو ، فالآيات عندما نهت عن الغلو ذكرت سبب النهي وهو قول غير الحق على الله تعالى ، وهنا الحديث الشريف يوضح سبب النهي وهو الهلاك ، والهلاك على مستويين ، الأول على مستوى أرواح الناس وإزهاقها ، والثاني على مستوى الأفكار وتطرفها ومفارقتها للعقل والدين والنواميس الإنسانية .

إنَّ الإنسان لا يعاب بتشبثه بفكرة أو راي أو عقيدة معينة ، فذلك حق مكفول له ، ومن حقه أيضا الدفاع عن رؤاه أو حتى التبشير بها ، وكل ذلك يندرج ضمن الوسائل الطبيعية المسموح بها، كتابة وتأليفا، سمعيا وبصريا، ولكن يعاب الإنسان بالاستعداء على العقائد والتحشيد ضدها والاستخفاف بحرمة أصحابها ، ومن ثم يكون المآل الهلاك الذي أشار اليه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

إن اطلاق الأوصاف الجاهزة بلا تروٍ، وتريث التي تكفّر الآخر وتأثّمه وتخرجه من الدين من شأنها أن تخلق الضغائن بين أبناء المجتمع وكل منهم يشحذ همه لجمع الكثير من النصوص التي يستعين بها لإثبات مدعاه بحق الآخر، حتى استشرى هذا اللون من الكتابات حتى لدى المعاصرين وهم يعرجون على آراء المتقدمين ، فمثلا نجد صاحب كتاب الجذور التاريخية والنفسية للغلو والغلاة يذكر تحت عنوان (كيفية دخول الغلو في الإسلام) : من المعلوم والثابت تاريخيًا أن رسالة الإسلام قد نسخت جميع الرسالات قبلها لقول الله تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) ودعوة نبي الإسلام الى الناس كافة فلا يجوز بعد مجيء الإسلام ان يكون للبشر عدة أديان يدينيون بها ، بل دين واحد ورب واحد ونبي واحد ومن لا يدين بدين الإسلام يعد كافرا . [٥٣]

هذا الاتجاه السلفي في الفكر الديني هو منبت الغلو ، حيث يتلفظ بلفظة الكفر دون ادنى حذر، وما ويلات الأمة الإسلامية اليوم وسيل دماء أبنائها إلا من هذا اللون الفكري الذي لا يعبأ بحياة الإنسان قدر تعلقه بحرفية النصوص .

وقد يتذرع البعض ان التوصيف بالكفر هو توصيف حكمي أو فقهي أو منطلق من الأصل اللغوي للكلمة الذي يعني التغطية ولا تترتب عليه الآثار الواقعية للكفار من قتالهم أو إخراجهم من ارض المسلمين ، كل ذلك لا يبرر هذا التوصيف المجحف ، فاذا كان مستساغا في كتابات القدماء ولا يتحرجون من إطلاقه ، ينبغي التحرج منه في الوقت الحاضر أو لنقل تحريمه .

الغلو اذا أصاب التفكير الفردي فإنه قد يزول لفترة أو بزوال الفرد نفسه ، لكن اذا أصاب الأمة في بنيتها الفكرية ونسيجها الثقافي ، فذلك هو الأمر المعضل والذي قد يستمر ويتناسل في أذهان أفراد الأمة ، وبذلك يشيع تكفير الآخرين ومقتهم ومروقهم من الدين ، لتكون النتيجة الحتمية لتلك الذهنية المعبأة المتورمة الصراع والتقاتل بحجة حماية الدين والدفاع عن العقيدة ، واستقطاب كثير من النصوص الدينية بروح محرضة ومؤدلجة . ويأتي تحذير آخر من الغلو، وذلك بحرمان المغالي من فيوضات النبي العظيم صلى الله عليه وآله وسلم ومن شفاعته التي يهفوا إليها قلب كل مسلم محب للنبي العظيم وذلك في حديثه صلى الله عليه وآله وسلم : (رجلان لا تنالهما شفاعتي صاحب سلطان عسوف وغالٍ في الدين مارق) [٥٤] .

هذا الحديث الشريف يلفت النظر إلى أمر ينبغي التأمل فيه ، وهو عطف وإضافة المغالي إلى السلطان الظالم ، وكأنه يشير إلى تعسف كلا الشخصين فالظلم حاصل من كليهما ، بل إنَّ ظلم المغالي يكون اكثر تأثيرا وتمزيقا للمجتمع من ظلم الحاكم المتعسف ، فالحاكم يجبر الناس على اتباعه وإظهار تبجيله واحترامه ، لكنه لا يملك سلطة الى قلوبهم ، في حين المغالي يفصح عن عقيدة وقلب امتلأ أيمانا بها ، فاذا كان من أبجديات تلك العقيدة هو التعسف بحق الآخرين وصفا وحكما وجهادا مزعوما ، ذلك هو الخطر الكبير الذي يتعدى خطر السلطان الظالم ، ويتحين الفرص للانقضاض على المخالف له بآية قرآنية وبحديث شريف .

وعند الرجوع إلى كتب الفرق أو الملل والنحل يتضح التصنيف والتمييز بين الفرق من حيث الغلو والاعتدال ، وان كان صاحب كل كتاب يميل الى طائفته وفرقته ويلصق التهم بالأخرى ، ان استناد أصحاب كتب الفرق الى بعض النصوص الدينية جعلهم يتعسفون في تصنيف الناس ، كمن ينطلق من حديث الفرقة الناجية*؛ لينتخب واحدة بعينها هو منها أو يميل اليها ثم يبدأ بتعداد الفرق الأخرى حتى اذا وصل إلى اثنتين وسبعين فرقة كان حقها ومستحقها النار استنادا الى الحديث ، والفريق الآخر يذهب بهذا الاتجاه أيضا لنفتح أعيننا على عدوى تكفير تستشري في جسد الأمة ، تستبيح بين أبنائها الجهاد والقتل والسبي والتعدي على الأعراض .

أما ادعاء النبوة أو الإمامة فعن طريق قراءة هذه الكتب – اعني كتب الفرق والملل – يبدو انه كان رائجا ، كما يروّج اليوم أصحاب الكهانة والشعوذة ويستعينون بوسائل الإعلام وإدارة بعض القنوات التلفزيونية ، والحديث في ذلك طويل ، واحيانا لا يصل الباحثون فيه الى قول فصل ، كما في شخصية عبد الله بن سبأ التي تنوعت فيها الآراء فمن قائل الى انه مؤسس الغلو في المذهب الشيعي ، ورأي آخر انه شخصية وهمية خيالية حيكت خيوطها بآلة سلطوية من اجل النيل من مذهب اهل البيت عليهم السلام والتشنيع عليه ، ورأي ثالث وهو احدث الآراء وينسب الى الدكتور علي الوردي يبرهن فيه ان ابن سبأ هو نفسه الصحابي عمار بن ياسر ، بعد ان يستكثر ما جاءت به كتب التاريخ ، فيقول : ان الأعمال العظيمة التي تنسب الى ابن سبأ لا يمكن ان يقوم بها الا عبقري أو ساحر أو ذا قوة نفسية خارقة تجعل الناس أمامه كالغنم يتأثرون بأقواله من حيث لا يشعرون ، ثم يقول : ان من يدرس أعمال عمار بن ياسر وأقواله يجد تشابها مدهشا بينها وبين ما نُسب إلى ابن سبأ من أعمال وأقوال [٥٥] .

ولا يجني المتابع لتلك الآراء إلا مزيدا من التشرذم وتوسيع هوة الخلاف بين أبناء الأمة الذي صنعه المتحكمون بأمرها من رجال ساسة ودين الذين لا يروق لهم إعمال العقول وتفتح الأذهان ومسائلة المقصرين ، ومن ثم يخلقون اتباعا هنا وأعداء هناك ، وهبات وأموال هنا وإرعابا وتخويفا هناك ، وهذا ما يتطلب من العقلاء هجر تلك الآراء التي تمزق نسيج الإنسان وإبداله بخطاب متزن ينصف الإنسان أخاه الإنسان ، وعند المرور على بعض تلك الفرق المغالية سواء في الصحابة أو أهل البيت أو أرباب الحديث يطول المقام ويتجلى تطاحن الآراء – وللأسف يتجلى معه التكفير والخروج من الدين ، وهذا ما يرفضه الدين السمح والعقل السليم ، ولاسيما في الوقت الحاضر بعد الكم الهائل من التقدم المعرفي والتكنولوجي ، وكم هو من المعيب ان الأمم الأخرى تتقدم بينما المسلمون يتقهقرون ليكونوا حبيسي نصوص تمزقهم وتفرقهم ولا تلم لهم شملا .

واذكر مثالا على هذا الكلام فرقة المنصورية التي قيل انها تتبع ابا منصور العجلي المقتول سنة (١٢١ هـ) والذي يُقال فيه انه ادعى النبوة وذكر عقائد أخرى تخصه منها المغالاة في الإمام علي (عليه السلام) لكن ما أود الالتفات اليه هو استحقاق المخالفين لهذه الفرقة عن طريق إعلان زعيمهم الجهاد بوجوههم فقيل : " اعلن ابو منصور العجلي الجهاد الخفي وهو خنق واغتيال من يخالفه في مذهبه ، فيقول : من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فان هذا جهاد خفي " [٥٦] .

من المؤسف كثيرا ان تعيش بيننا تلك الأفكار في الوقت الحاضر وتُزهق الأرواح بدعوى الجهاد والدفاع عن الدين ، وكأنهم يصورون الدين سيفا مسلطا على الرقاب وجلادا ماسكا بسوطه والله تعالى متربصا بعباده يبحث عن زلتهم ليكونوا حصب جهنم وهم فيها خالدون.

وبالرجوع الى احاديث النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحذر امته من الغلو والمغالاة واضعا نصب أعينهم آثاره وهلاكهم بغلوهم محبذا لهم الطريق الوسط، يقول صلى الله عليه وآله وسلم :(إنّ من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه)[٥٧]، وهذا الحديث مقارب للحديث الآخر الذي يدعو الى الرفق في عبادة الله وعباد الله اجتنابا للغلو والإكراه وذلك في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تكرهوا عبادة الله الى عباد الله ؛ فتكونوا كالراكب المنْبَتِّ الذي لا سفرا قطع ولا ظهرا ابقى)[٥٨]، الراكب المنبتّ الذي انقطع عن الطريق فلم يصل الى مراده في سفره ولم يحافظ على دابته، فهذا حال المغالي يفوته الأجر الذي طلب وإيمانه الذي عليه نصب فيعاني تيها وتشتتا فاقدا للتوازن .

ويخاطب عليا عليه السلام اتباعه مبينا لهم هلاك من غالى فيه حبا وهلاك من غالى فيه بغضا وذلك في قوله : (هلك فيّ اثنان محب غال ومبغض قال) [٥٩] ، فالتقديس حدّ الألوهية امر يخرج بالإنسان إلى مستوى بهيمي لا يعرف خلاله الا الطاعة العمياء ، والكره حدّ البغض الشديد ونكران الفضائل والسب على المنابر ، كذلك امر يخالف ادنى درجات التعقّل .

إن الإنسان الذي تحيط به أجواء مشحونة بين الغلو والغلو المضاد يفقد في كثير من الأحيان توازنه بين هذا الفريق أو ذاك ، وينسحب هذا الأمر حتى على مستوى النخب فضلا عن عامة الناس، ففي تلك الأحوال ينبغي على العقلاء سلوك الطريق الوسط حيث الاعتدال وادخار العواطف واجتناب فرضها على الآخرين ، وفي ذلك قال الإمام علي عليه السلام : (ان دين الله بين المقصر والغالي فعليكم بالنمرقة الوسطى فيها يلحق المقصر ويرجع إليها الغالي) [٦٠] ، والنمرقة كما معروف هي الوسادة ، وتلك استعارة من البيئة العربية في جلوسهم حيث النمرقة الوسطى (الوسادة الوسطى) تعني التكريم والتشريف لجالسها ، وكذلك يكون محتويا للفريقين الجالسين عن يمينه وشماله .

الخاتمة والنتائج:

الغلو والمغالاة صفة مجتمعية ملاصقة للشعوب التي تجتر على بدائيتها ، وتعيش انغلاقا على نفسها، ولكن الأمر المقلق في هذه الصفة هو ترتيب الآثار على ذلك الغلو ، حيث سلب الإيمان من الطرف الآخر واتهامه بالكفر والمروق من الدين أو الزندقة .

إن الشعوب التي غالت بعظمائها ولا زالت ، ولكنها بالوقت ذاته اختارت التعايش فيما بينها وتركت للشخص حرية العبادة والتعبير شريطة عدم الاعتداء على حريات الآخرين فقد نالت نصيبها

من السلام واستقرار إنسانها ، أما الشعوب التي تأزمت وتشنجت بسبب غلوها فقد اختارت التنابز والتصارع ومن ثم نالت نصيبها من الفتن وسفك الدماء واهتزت ثقة واحيانا انعدمت ثقة الإنسان بأخيه الإنسان ، مردّ ذلك هو الغلو سواء على مستوى العقائد أو على مستوى الأشخاص ، واحيانا يحلّ الأشخاص محل العقيدة .

أما ابرز النتائج التي اطلّ عليها البحث؛ فهي :

١ – الغلو يكاد يكون موجودا في جميع المجتمعات ، لكن الاختلاف يكون بترتيب الأثر على ذلك الغلو من حيث احترام الإنسان أو الاعتداء عليه .

٢ – رفض القرآن الكريم غلو اليهود والنصارى ، ومن باب أولى رفضه في المجتمعات الإسلامية من باب تحصيل الحاصل وان لم يذكر القرآن ذلك صريحا .

٣ – جاء رفض الغلو صريحا لا لبس فيه في السنة المطهرة ، بما لا يدع مجالا للشك انه حالة مرضية يجب تحصين المجتمع أضراره وآثاره .

الهوامش والمصادر:

(١) كتاب العين – أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي، (ت ١٧٥هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ٤/ ٤٦٦ .

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس – محب الدين السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي الحنفي (ت١٢٠٥هـ) تحقيق : علي شيري ، دار الفكر ، بيروت /١٩٩٤، ٢ / ٢٣ .

(٣) لسان العرب – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ) ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت . ، ١٥ / ١٣٢ .

(٤) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل–أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) اعتنى به وخرج أحاديثه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة – بيروت، ط٢ / ٢٠٠٥م ،ص ٦٣.

(٥) ينظر: التفسير الكاشف – محمد جواد مغنية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٢ / ١٩٨٧ ، ٢ / ٤٩٨ .

(٦) التحرير والتنوير– محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التنوسية للنشر/١٩٨٤,٤/٣٣٠.

(٧) ينظر : مقارنة الأديان،أديان الهند الكبرى– احمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية ، ط١١ / ٢٠٠٠ م ، / ٧٦.

(٨) ينظر : نشوء المذاهب والفرق الإسلامية –حسين الشاكري، ايران / قم ، ط١ / ١٤١٨ هـ ، ص ١٣٦ – ١٣٧ .

(٩) ينظر: هوية التشيع – الدكتور احمد الوائلي، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ايران ، ط٣ / ٢٠٠٥م ، ص١٦٣ –١٦٤ .

(١٠) ينظر : ترجمان الاديان – اسعد السحمراني ، دار النفائس ، بيروت ، ط١/ ٢٠٠٩ ، ص ٩١ .

× البراهمة : الطبقة الاولى في الديانة الهندوسية وتتكون من رجال الدين ، وهي افضل الطبقات واشرفها .

(١١) الاديان في العالم – سعدون محسن الساموك ، هدى علي الشمري ، دار المناهج ، المملكة الاردنية ، ٤١ .

(١٢) الداماباداً ، كتاب بوذا المقدس / ترجمة سعدي يوسف ، دار التكوين ، سوريا ، ط١ / ٢٠١٠ / ص ١٠ .

(١٣) المصدر نفسه / ١٨ .

(١٤) الأديان في العالم ، الساموك ، ٤٦ . ٤٧ .

(١٥) موسوعة الاديان القديمة معتقدات آسيوية – كامل سعفان ، دار الندى ، القاهرة ، ط١ / ١٩٩٩م،ص١٠ .

(١٦) اديان العالم ، حبيب سعيد – صدر عن دار التاليف والنشر الكنسية والاسقفية ـ القاهرة ، ص١١ .

(١٧) موسوعة العقيدة والاديان ، دراسات في الاديان الوثنية القديمة – احمد علي عجيبة ، دار الآفا العربية ـ القاهرة ، ط١ / ٢٠٠٤ / ص١٣٨ .

(١٨) ينظر: الإنسان والمقدس، روجيه كايوا، ترجمة سميرة ريشا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١/٢٠١٠، ص٣٩.

(١٩) اديان العالم ، ١١٧ .

(٢٠) ينظر : كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني ، صلاح بسيوني رسلان ، دار قباء للنشر – القاهرة / ١٤١٩هـ ، ص٦١ – ٦٢ .

*نيتشة : فيلسوف الماني عرف بنظرته الناقدة للديانة المسيحية ، توفي ١٩٠٠ م .

(٢١) الإنسان المؤله او معنى الحياة – لوك فيري ، ترجمة محمد هشام ، دار افريقيا الشرق . المغرب / ٢٠٠٢ / ص٢٦ .

(٢٢) ينظر : موسوعة الاديان القديمة ، كامل سعفان ، ٢٦٨ .

(٢٣) ينظر : العبادات في الديانات القديمة – عبد الرزاق الموحي ، دار صفحات للدراسة والنشر . سوريا ، ط٢ / ٢٠٠٧ ، ص٤٩ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ٥١ .

(٢٥) علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي – المستشرق جيب ، الدكتور عادل العوا ، منشورات عويدان . بيروت . باريس ، ط١ / ١٩٧٧ ، ص٦٦ .

(٢٦) كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني ، صلاح بسيوني رسلان ، ١٦٦ .

(٢٧) ينظر : المصدر نفسه ، ٩٨ .

(٢٨) المصدر نفسه ، ١١٥ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ٢٧١ .

(٣٠) ينظر : موسوعة الاديان القديمة ، كامل سعفان ، ٢٦٨ .

(٣١) ينظر : فلسفة الاخلاق والسياسة ، المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس ، هالة ابو الفتوح احمد ، دار قباء للطباعة والنشر ت القاهرة ، ط١ / ٢٠٠٠ ، ص١٣٩ .

(٣٢) الأصول من الكافي – أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت٣٢٨هـ) تحقيق : علي اكبر الغفاري ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط٣ / ١٩٦٨ م الكافي ، الكليني، في باب العصبية ، ٣٠٨/٢ .

(٣٣) ينظر : التبيان في تفسير القرآن – أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) تحقيق وتصحيح: احمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ٣ / ٣٩٩ .

(٣٤) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب – محمد بن عمر ابن الحسين الرازي (ت٦٠٦هـ) قدم له خليل محيي الدين الميس ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٩٥ م ، ١١ / ١١٥ .

(٣٥) ينظر: الميزان في تفسير القرآن – محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الاعلمي – بيروت – لبنان ، ط١ /١٩٩٧م ، ٣ / ٣٠٦ .

(٣٦) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل – ناصر مكارم الشيرازي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط١ /٢٠٠٧ م ، ٣ / ٥٥٠ – ٥٥١ .

(٣٧) ينظر : التفسير الكبير ، ١٦ / ٣٣ .

(٣٨) المصدر نفسه .

(٣٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – ابو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) ضبطه وصححه علي غبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٩م ، ١٠ / ٨٤ .

(٤٠) ينظر : تفسير القرآن العظيم – عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) تقديم يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ،١٩٩٢م ، ٢ / ٣٦٢ .

(٤١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل – ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي(ت٦٨٢هـ) دار الفكر – بيروت ، ٣ / ٧٨ .

(٤٢) ينظر : الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٦ /٨ .

(٤٣) ينظر : التفسير الكبير ، ١٦ / ٣٤ .

(٤٤) الميزان ، ٦ / ٧٧ .

(٤٥) صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري (ت٢٥٦هـ) دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت ،١٩٨١م ، كتاب بدء الخلق ، ٤ / ١٤٢ .

(٤٦) ينظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري – شهاب الدين ابن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢ هـ ، ط٢ / دار المعرفة . بيروت ، ج١٢ / ص ١٣١ .

(٤٧) لسان العرب ، ١٥ / ٦ .

(٤٨) ميزان الحكمة – محمد الري شهري ، دار الحديث ، ايران ، ط١ / ١٤١٦ هـ ، ٣ / ٢٩٤ .

(٤٩) ينظر : مجلة قضايا اسلامية معاصرة ، العدد ٤٣ – ٤٤ / ٢٠١٠ ، مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد ، ص٢٣٥ .

(٥٠) دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن اهل بيت رسول الله عليه وعليهم السلام – ابو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي ، (ت٣٦٣) ، دار المعارف ، القاهرة / ١٩٦٣ م ، ٢ / ٢٢١ .

(٥١) المستدرك على الصحيحين – الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ) وبذيله التلخيص ، للحافظ الذهبي ، دار المعرفة – بيروت ، ٢ / ١٧٥ .

(٥٢) السنن الكبرى – أبو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ) دار الفكر – بيروت ، ٢ / ٤٣٥ .

(٥٣) الجذور التاريخية والنفسية للغلو والغلاة ، سامي الغريري ، قم / ايران ، ط١ / ١٤٢٤ هـ ، ص ٥٥ .

(٥٤) ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، ٢ / ١٤٧٢ .

* هو قول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم (إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وأن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة) ينظر : سنن ابن ماجه، باب افتراق الأمم، كتاب الفتن، رقمه (٣٩٩٣)، ٤٩٤/١١ ، ولمزيد من الاطلاع ينظر : الإسلام واثره في تفكيك السجال الديني ، ماجد حميد كصاب ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية ابن رشد ، قسم علوم القرآن الكريم ، ص٩ – ١١ .

(٥٥) ينظر : وعاظ السلاطين – علي الوردي ، دار كوفان – لندن ، توزيع : دار الكنوز الأدبية – بيروت ، ط٢/ ١٩٩٥م ، ص ١١١– ١٧٧ .

(٥٦) الجذور النفسية والتاريخية للغلو والغلاة ، سامي الغريري ، ١٦٢ .

(٥٧) سنن أبي داود – أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ) تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ / ١٩٩٠م ، ٢ / ٤٤٤ .

(٥٨) الكافي ، الكليني ، باب الاقتصاد في العبادة ، ٢ / ٨٦ .

(٥٩) نهج البلاغة ، مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، تحقيق : صبحي الصالح ، منشورات أنوار الهدى ، إيران ، ١٤٢٦ هـ ، الحكم القصار ، الرقم ٤٦٩ ، ص ٦٣٦ .

(٦٠) المصدر نفسه ، الحكم القصار ، الرقم ١٠٩ ، ص٥٧٠ .